

في ذكرى ولادة الزهراء: فضل وآثار تسبیح الزهراء (ع) - ١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وللعنة الدائمة على أعدائهم أعداء الدين.

يَفْقَهُوا قَوْلِهِ [طه: 25 – .28].

نبارك لكم أيها الإخوة المؤمنون ذكرى ميلاد السيدة الزهراء (ع) التي نعيش هذه الأيام ذكرى ولادتها.

وليدة النور، وأم أيها:

عاشت السيدة الزهراء (ع) في طلال أبيها محمد (ص) وهو سيد البشر، وفي أحضان أمها الطاهرة خديجة (ع) وهي أفضل نساء البشرية في وقتها قبل أن تولد السيدة الزهراء (ع). وقد ذكرنا فيما سبق من الخطب أن السيدة خديجة واحدة من أربع نساء اختارهن الله تعالى واصطفاً لهنّ من بين جميع نساء البشر.

ولدت فاطمة (ع) في مكة المكرمة بين رسول الله (ص) وخدیجه، في يوم الجمعة، في العشرين من شهر جمادی الثانية، فاستقبل رسول الله (ص) هذه البنت الطاهرة الموعود بها من الباري جل وعلا، بالفرح والسرور والرضا، وسماها فاطمة. وهذه البنت الوليدة تحمل روح رسول الله (ص) وقد مرّ علينا فيما مضى قول النبي (ص) فيها: إنها روحني التي بين جنبيّ. كما أنها تحمل صفات رسول الله (ص) فكانت تشبهه في كل شيء، خلقاً وخُلُقاً، وأخلاق النبي (ص) هي أخلاق القرآن الكريم، وقد حملت فاطمة (ع) أخلاق القرآن الكريم أيضاً. فكانت فاطمة (ع) الوارث والشبيه لرسول الله (ص). كما كانت علاقتها منذ ولادتها حميمية برسول الله (ص) وكانت تلك العلاقة تلفت أنظار المسلمين منذ المصدر الأول من الإسلام.

لقد ولدت الزهراء (ع) والمصراع بين الجاهلية والإسلام على أشدّه، وعاشت المأساة في شعب أبي طالب،

والجميع يعلم ما كانت عليه المأساة في شعب أبي طالب، وماذا عانى رسول الله (ص) والمسلمون في ذلك الحمار التام الذي ضُرب عليهم، وكأنوا يتضورون جوعاً وعطشاً.

في ذلك الشّعب، وذلك الجو من الحصار القاسي، عاشت فاطمة الزهراء (ع) طفولتها. وهذا على رواية أنها ولدت بعد البعثة بخمس سنوات، وأن خديجة (ع) توفيت في العاشرة من البعثة، فعلى هذه يكون عمر الزهراء (ع) عند وفاة أمها خديجة خمس سنوات.

لقد عاشت الزهراء (ع) اليتم منذ الصغر، ولكن عندما ماتت خديجة كانت الزهراء (ع) لأبيها بمثابة الأم، ولُقِّبَت بأم أبيها. وكانت تحنو عليه أكثر مما تحنو الأم على ولدها، وتحتفظ عنه الآلام والأحزان، بعد أن خسر النبي (ص) ناصريّه القويّين، وهما خديجة وأبو طالب، حتى سمي عام فقدهما بعام الحزن، إلا أن الزهراء (ع) كانت تواسيه في ذلك الموقف، وهي في تلك المرحلة من العمر.

تسبيح الزهراء:

مما يجدر ذكره في تاريخ الزهراء (ع) وسيرتها أن النبي (ص) أهدى لها هدية عُرِفت باسمها، ألا وهي تسبيح الزهراء (ع) الذي ورد أنه أفضل من ألف ركعة يصليها المسلم عدا الفريضة. ويُقرأ بعد كل فريضة كما هو معروف. وهو عمل بسيط في ظاهره لا يتجاوز الدقائق القليلة، وقد لا يتجاوز دقيقة أو دقيقتين، إلا أن العبرة ليست في حجم العمل، لا في طوله ولا في قصره، إنما العبرة في نوعه، وهذا العمل منصوص عليه أنه يعدل ألف ركعة. فميزان الأفضلية في العمل يحدده الباري سبحانه وتعالى.

روى المدقوق بسنده عن أبي هارون المكفوف، عن أبي عبد الله الصادق (ع) أنه قال: «يا أبا هارون، إننا نأمر صبياننا بتسبيح فاطمة (ع)، كما نأمرهم بالصلوة، فالزمها، فإنه لم يلزمها عبد فشقى». [الكتاب الكليني: 343]. وليس بعد هذا الفضل من فضل، فكما أن العبد يأمر أبناءه بالصلوة الواجبة، يأمرهم بتسبيح الزهراء (ع) كما يقول الإمام الصادق (ع).

إن الإنسان معرض للكثير من المخاطر والمنزلقات، فالشيطان لا يفتّأ يosoos للإنسان كي يستزله ويفويه، فعليه أن يبحث عن المحصنات، ومن تلك المحصنات تسبيح الزهراء (ع). فما لزمها عبدٌ فشقى كما يقول الإمام الصادق (ع). ومن مصاديق الشقاوة الكفر والضلالة.

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق (ع): «من سبّ حمزة تسبيح فاطمة الزهراء (ع) قبل أن يَثْنِي رجلٍ

من صلاة الفريضة، غفر الله له، ولبيداً بالتكبير». [الكافى، الكليني: 342].

هذه بعض الآثار المترتبة على هدية النبي (ص) لسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (ع)، ولا يعلم فضل هذا التسبيح ومنزلته إلا الله تعالى، ومن اختصهم بعلمه. وهل يتمنى العبد ويأمل أكثر من أن يغفر الله تعالى له ذنبه.

وروى الكليني في حديث آخر، عن الإمام البارق (ع): «ما عُبَدَ إِلَّا بِشَيْءٍ مِنَ التَّحْمِيدِ أَفْضَلُ مِنْ تَسْبِيحِ فَاطِّمَةَ (ع) وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ أَفْضَلٌ مِنْهُ لَنْحَلَهُ رَسُولُ اللهِ (ص) فَاطِّمَةَ (ع)». [الكافى، الكليني: 343].

وفي رواية أخرى يرويها المدقوق عليه الرحمة «عن الإمام الصادق (ع) أنه سئل عن قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الظَّاهِرَاتِ آمَدُوا أَذْكُرُوا إِلَّا ذِكْرًا كَثِيرًا﴾». [الأحزاب: 41]. ما هذا الذكر الكبير؟ قال: من سبحة تسبيح فاطمة (ع) فقد ذكر الله الذكر الكبير». [معاني الأخبار، الشيخ المدقوق: 193].

وهناك روايات كثيرة في هذا الباب، نقتصر على هذا القدر منها.

كيفية تسبيح الزهراء (ع):

أما عن كيفية هذا التسبيح، فهو عبارة عن قول: الله أكبر 34 مرة، والحمد لله 33 مرة، وسبحان الله 33 مرة. ويقدّم التكبير أولاً، ثم التحميد، ثم التسبيح. وهناك رواية تقول بتقديم التسبيح على التحميد بالعدد المذكور.

فقد روي عن أبي بصير عن أبي عبد الله (ع) قال في تسبيح فاطمة (ع): «تبدأ بالتكبير أربعاً وثلاثين، ثم التحميد ثلاثاً وثلاثين، ثم التسبيح ثلاثاً وثلاثين». [تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي: 106]. وهذا هو المشهور.

وقد جعلت فاطمة (ع) خيطاً من صوف، وصنعت فيه عدداً من العقد بعدد التسبيحات، وكانت تلتزم بها، إلى أن استشهد حمزة (ع) في معركة أحد، فأخذت طيناً من قبره، وجعلته مسبحة.

وقد يسأل سائل: المتداول اليوم هو طين قبر الحسين (ع) فهل تكون المسبيحة منه أو من طين قبر حمزة؟
الجواب: لو أن الزهراء (ع) أدركتم ما أدركتموه أنتم من طين قبر الحسين (ع) لقدمتها على تربة حمزة.

فالتسبيح بتربة الإمام الحسين (ع) أفضـلـ وتربـتهـ أفضـلـ ما يُسـبـّـحـ بهـ .ـ وـمـنـ لـمـ يـتـيـسـرـ لـهـ طـيـنـ قـبـرـ الحـسـينـ (ع)ـ فـيـمـكـنـ التـسـبـيـحـ بـالـمـسـبـحـةـ الـمـتـدـاـولـةـ فـيـ الـمـسـاجـدـ وـغـيـرـهـاـ .ـ إـنـ لـمـ تـيـسـرـ حـتـىـ هـذـهـ الـمـسـبـحـةـ،ـ فـيـمـكـنـ التـسـبـيـحـ بـأـصـابـعـ الـيدـ .ـ

أسرار تسبيح الزهراء:

لقد ورد في الروايات الشريفة الكثير من الآثار والأسرار لهذا التسبيح الشريف، ومنها:

1 - الابتعاد عن الشقاوة، والقرب من السعادة: وقد تقدم هذا في الرواية التي ذكرناها.

2 - حسن العاقبة: فمن آثاره الثبات على الحق، وحسن العاقبة، وعدم الانزلاق في مزالق الشيطان.

3 - طرد الشيطان، ونيل رضا الرحمن: فالشيطان ألد أعداء الإنسان، فمنذ أن أُخرج من الجنة وهو يتربص بالإنسان، ويقعد له في كل طريق. قال تعالى يصف حال الشيطان وكيف يتوعدبني آدم: ﴿قَالَ فَبِئْرَزٌ تَرَكَ لَاْغُوْ يَنْهَمُ أَجْمَعِينَ ~ إِنَّ لَعْبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾. [ص: 82، 83]. فالعبد المخلص لا بد أن يداوم على العبادة، ومن ذلك تسبيح الزهراء (ع). وإن الشيطان يتربص للمسلم في كل آنٍ ومكان، ولا يفتـأـ يلاـحـقـهـ فيـ كـلـ شـأـنـ منـ شـؤـونـهـ،ـ لاـ فيـ الـعـبـادـةـ فقطـ،ـ إنـماـ فيـ أـسـرـتـهـ وـمـجـتمـعـهـ وـنـفـسـهـ وـفـيـ كـلـ طـرـيقـ يـرـيدـ أـنـ يـسـلـكـهـ الـمـسـلـمـ.ـ فـمـنـ الـمـنـجـيـاتـ الـمـداـوـةـ عـلـىـ تـسـبـيـحـ فـاطـمـةـ (ع)ـ .ـ

4 - الشفاء من الأمراض: فقد دخل رجل على أبي عبد الله (ع) وكلمه فلم يسمع كلام أبي عبد الله، وشكـاـ إـلـيـهـ ثـقـلاـ فيـ أـذـنـيهـ،ـ فـقـالـ لـهـ:ـ مـاـ يـمـنـعـكـ ~ أـوـ أـيـنـ أـنـتـ ~ مـنـ تـسـبـيـحـ فـاطـمـةـ (ع)ـ؟ـ فـقـالـ لـهـ:ـ جـعـلـتـ فـدـاكـ،ـ وـمـاـ تـسـبـيـحـ فـاطـمـةـ؟ـ فـقـالـ:ـ تـكـبـرـ اـمـ أـرـبـعاـ وـثـلـاثـيـنـ،ـ وـتـحـمـدـ اـمـ نـلـاثـاـ وـثـلـاثـيـنـ،ـ وـتـسـبـيـحـ اـمـ نـلـاثـاـ وـثـلـاثـيـنـ،ـ تـمـامـ الـمـائـةـ.ـ قـالـ:ـ فـمـاـ فـعـلـتـ ذـلـكـ إـلـاـ يـسـيرـاـ ~ حـتـىـ ذـهـبـ عـنـيـ مـاـ كـنـتـ أـجـدـهـ﴾.ـ [مشـكـاةـ الـأـنـوـارـ فـيـ غـرـرـ الـأـخـبـارـ،ـ أـبـوـ الـفـضـلـ،ـ عـلـيـ بـنـ الـحـسـنـ الطـبـرـسـيـ:ـ 278ـ].ـ

وهـنـاكـ آـثـارـ أـخـرـىـ لـاـ يـسـعـ الـوقـتـ لـذـكـرـهـاـ،ـ وـآـخـرـ دـعـواـنـاـ أـنـ الـحـمـدـ رـبـ الـعـالـمـيـنـ،ـ وـصـلـىـ اللـهـ عـلـىـ مـحـمـدـ وـعـلـىـ أـهـلـ بـيـتـهـ الطـيـبـيـنـ الطـاهـرـيـنـ.

